الحديث الموضوعاتي

منهجه ونموذج تطبيقي

في دور ثنائية الحب والبغض في تشكيل شبكة العلاقات الاجتماعية

أ. د/ أحمد عثمان رحماني

أستاذ التفسير الموضوعي/ كلية العلوم الإسلامية والعلوم الاجتماعية / الجزائر/ أستاذ معار بكلية الدراسات الإسلامية والعربية /دبي

الحمد لله رب العالمين، منزل الوحي لراحة البشرية أجمعين، ومرسل الرسل لتبليغه لخلق الله لعلهم يهتدون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا ﷺ عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين.

أما بعد فإن هذا البحث خصصته للحديث الموضوعاتي لأبين فيه من خلال آراء العلماء الأفاضل طرق البحث في هذا المجال كي يقف الباحثون على أحسن الطرق وأدقها في أداء المعنى المقصود من الأحاديث النبوية الشريفة حينما يجمع بعضها لبعض، للوقوف على مقاصدها وقضاياها سواء أكان الهدف هو المضمون الفكري لذاته أو كان الهدف هو بيان بعض المسائل الفقهية أو إعجاز موضوع، إذ أن إعجاز الحديث الشريف يقع حتما في موضوعاته وتشريعاته وليس في صياغته، وإن كانت صياغته من أروع ما عرفته أساليب اللغة العربية.

تعريف: الحديث الموضوعاتي منهج في شرح وتفسير الحديث النبوي الشريف تفسيرا موضوعيا يستهدف سبر أغوار الموضوعات المختلفة؛ الاجتماعية والعقدية والأخلاقية و الكونية من خلال الحديث النبوي الشريف الذي ثبتت صحته أو التي حسن العلماء المتخصصون درجته لغرض الخروج بنظرية في الموضوع أو بتصور ناضج حوله.

أهميته: تكمن أهمية هذا المنهج في جعل العقل البشري يستوعب القضايا التي يرغب في معرفتها بصورة متكاملة غير مجزأة، وأيضا بصورة معمقة بعيدا عن الدراسة التسطيحية، وهو أمر مهم جدا في عصر تعقدت فيه مسائل الحياة الاجتماعية والفكرية والخلقية وغيرها، ففي مثل هذه المجالات الحساسة من حياتنا يمكن القول أمه " لاسنة بدون فهم وفقه، ولافقه ولاحضارة إسلامية ولامعرفة بدون سنة"[1]، وإذا كان ذلك كذلك فقد أضحى أن" العناية بالتصنيف الموضوعي للسنة والاستفادة من المناهج العلميةالنافعةفي هذا المجال لتحقيق أهدافنافي جعل السنة النبوية مصدرا للمعرفة الإنسانية ولاجتماعية بكل أنواعها، وعدم الاقتصار على جعلها مصدرا للمعرفة الفقهية وحدها"[2].

قواعد المنهج: ويقوم منهج الحديث الموضوعي على قواعد تتشابه بعض التشابه مع الخطوات المنهجية المتبعة في التفسير الموضوعي للقرآن، ولكن ليست متطابقة لاختلاف آليات الدراسة الخارجية للحديث إذ تختلف في أحيان كثيرة روايات الحديث تبعا لطرق الرواية مما يطرح مشكلات في نص الحديث تعود لأسباب مختلفة مثل تعدد روايات الحديث لكونه قد قيل في أكثر

---

[1] ــ طه جابر العلواني : تمهيد لكتاب : القرضاوي : كيف نتعامل مع السنة : ص:9

[2] ــ نفسه : ص: 8

من موقف ومن ثم تعددت صور الأداء ومنها أن يكون الرسول ﷺ قد غير في صياغة الحديث قصدا لاختلاف الموقف المراد تثبيته في قلوب الصحابة رضوان الله تعالى عنهم، ومنها تفاوت الرواة في دقة الحفظ الحرفي إذ قد يؤدى الحديث بلفظ مرادف أو يقدم ويؤخر فيه.

ومن هنا كانت الأحاديث التي ثبتت صحتها واختلفت نصوصها بعض الاختلاف متكاملة بالضرورة، مما يوجب الانتباه إلى ذلك وأخذ الدلالات بحذر شديد ودقة متناهية كتلك الدقة التي عمل بها أساتذة الحديث رضي الله عنهم أجمعين في الصحاح والمسانيد وغيرها.

وقد حدد الدكتور الفاضل الشيخ القرضاوي معالم وضوابط لحسن فهم السنة [3] تصلح أساسا لهذا المنهج حصرها في ثمانية نقاط هي :

- فهم السنة في ضوء القرآن الكريم
- جمع الأحاديث الواردة في الموضوع الواحد
- الجمع أو الترجيح بين مختلف الحديث
- فهم الأحاديث في ضوء أسبابها وملابساتها ومقاصدها
- التمييز بين الوسيلة المتغيرة والهدف الثابت للحديث
- التفريق بين الحقيقة والمجازفي فهم الحديث
- التفريق بين الغيب والشهادة
- التأكد من مدلولات ألفاظ الحديث

ولعلنا نستطيع في ضوء تلك المعالم وغيرها من إشارات العلماء الذين تحدثوا في هذا المجال أن نقف على أبرز الخطوات التي يقوم عليها منهج التفسير الموضوعاتي للحديث النبوي الشريف التي يمكن إيجازها في ما يلي:

---

[3] ــ يوسف القرضاوي : كيف نتعامل مع السنة النبوية معالم وضوابط ص: 93ــ183

1ـ تحديد الموضوع المراد دراسته: ونعني بذلك تحديد الفكرة التي يراد دراستها ووضع عنوان ملائم ودقيق لها حتى يسهل أمر جمع المادة التي تكشف عن القضية الرئيسية أو القضايا المتشعبة عن القضية الرئيسية المراد دراستها.

2ـ جمع المادة من خلال الصحاح والمسانيد، وعند الجمع ينبغي مراعاة كلمات المفتاح التي تشكل الموضوع فإذا كان الموضوع هو " البعد الحضاري في ثنائية الحب والبغض من خلال الحديث النبوي الشريف" فإن البحث يقتضي تحديد كلمات أساسية يتم من خلالها البحث عن المادة المعبرة عن الموضوع والقضايا التي تشكله بتشعباتها، ومن ذلك :(الحب ـ مشتقاتها مثل: أحب، يحب، حبب، المحبة...ثم مرادفاتها مثل الود ومشتقاتها ثم أضدادها مثل: البغض ومشتقاتها مثل : بغض، يبغض، أبغض ... ثم مرادفاتها مثل: يكره ومشتقاتها...).

ويعتمد جمع المادة على القراءة الدقيقة للأبواب التي تعبر عن الموضوع مباشرة إن وجدت، ثم تعتمد على المعاجم المفهرسة لألفاظ الحديث الشريف، وقد يكون البحث أسهل وأسرع في اعتماد الإعلام الآلي لأنه دقيق وسريع في الإرشاد على اللفظ المراد، ولكن ليس بالضرورة أن يكون الحديث الذي يشير إليه اللفظ مقصودا في البحث المراد إنجازه، وعندئذ يمكن وضع تلك الأحاديث التي تبدو بعيدة عن المقصود على الهامش دون أن نضرب عنها صفحا، لأنها قد تعين في شرح حديث أساسي في البحث، وعليه فليس كل ما نجمعه بناء على ألفاظ مفتاح موضوع البحث يشكل بالضرورة مادة البحث كما أن مايبدو هامشيا ينبغي عدم إسقاطه من الحساب نهائيا لأنه قد يكون عاملا مساعدا في فك مسألة في بعض الأحاديث المشكلة من جهة الدلالة بسبب لفظ أو صياغة أو إيجاز أو مجاز.

3ـ قراءة المادة من أجل وضع عناوين للحديث تحدد أفكارها لغرض توزيعها على فصول البحث في الخطة الأولية التي شكلت اعتمادا على القراءات الأولية التي جرت لغرض اختيار الموضوع ووضع الخطة الأولية، فالحديث" أحب الدين إلى الله أدومه"[4]، يوضع له مثلا العنوان: أحب الدين إلى الله، والحديث المتعلق بحب الأنصار يوضع عليه عنوان مناسب له، وقد يعيننا على وضع تلك العناوين ماوضعه المحدثون أنفسهم في المصادر الحديثية مثل " باب حب الأنصار من الإيمان"[5] وهكذا.

4ـ توزيع المادة على أبواب الموضوع وفصوله ومباحثه: بعد قراءة مادة الحديث وعنونتها يشرع الباحث في توزيعها تبعا لخطة البحث، وينبغي عند توزيعها مراعاة الترتيب الدقيق للمادة الحديثية وفق معيارين أساسيين جدا هما:

أـ درجات الحديث

ب ـ مناسبة مضمون الحديث للقضية الجزئية المراد دراستها

5ـ الشروع في تفسير الحديث وشرحه وتحليله، وذلك يتطلب ما يلي:

أـ شرح معاني الألفاظ الأساسية في نص الحديث، وعلى سبيل المثال إذا كان الحديث هو " إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون، قال الصحابة عرفنا الرثارين والمتشدقين فما المتفيهقون؟ قال المتكبرون"[6] فانظر إلى الصحابة وهم من هم في معرفة لغة الوحي ومع ذلك تراهم يسألون عن الدلالات مما يعني في الحقيقة أهمية اللغة

---

[4]ـ صحيح البخاري :رقم:43ـ مؤسسة الرسالة بيروت 1993 تحقيق : شعيب الأرنؤوط

[5]ـ نفسه : رقم 3572

[6]ـ صحيح ابن حبان : حديث رقم :5557ـ 368/12

في فهم مقاصد الحديث، وعلى هذا نرى ضرورة التمييز بين الدلالة الحقيقة والدلالة المجازية بصورة أكيدة حتى نحافظ على أهداف الحديث.

ب ــ شرح العبارات والتراكيب لأن كثيرا من المعاني تكتشف بمعرفة السياق والصياغة التي ركب عليها الحديث الشريف.

ج ــ استحضار الأحاديث التي تعين على فهم الحديث الرئيسي وتعين على توجيه الدلالة.

د ــ استغلال المعارف الفقهية والعقدية والأخلاقية والاجتماعية والنفسية التي تساعد على استبطان الحديث ومعرفة مقاصده الكبرى النفسية والاجتماعية وغيرها.

هـ ــ العمل على فهم الأحاديث في ضوء أسبابها وملابساتها ومقاصدها

6ــ ربط الفقرات ببعضها بعد شرحها ثم ربطها بالفقرة الرئيسية ثم بسياق البحث.

7ــ الخروج بنتائج التفسير للمباحث وتسجيلها، وعند ذلك ينبغي الالتفات لأهمية الترجيح بين الأحاديث المتشابهة، والأهم من ذلك محاولة الجمع بينها إذا كان ذلك ممكنا، ذلك لأن " الأصل في النصوص التشريعية الثابتة ألا تتعارض لأن الحق لايعارض الحق ،فإن افترض وجود التعارض فإنما هو في ظاهر الأمر لا في الحقيقة والواقع، وكان علينا أن نزيل هذا التعارض المدعى، وإذا أمكن إزالة التعارض بالجمع والتوفيق بين النصين بدون تمحل واعتساف بحيث يعمل بكل منهما، فهو أولى من اللجوء إلى الترجيح بينهما لأن الترجيح يعني إهمال أحد النصين، وتقديم الآخر عليه"[7]

[7] ــ ا ي : كيف نتعامل مع السنة النبوية معالم وضوابط:113

الدراسة التطبيقية:

"دور ثنائية الحب والبغض في تشكيل شبكة العلاقات الاجتماعية من خلال الحديث النبوي الشريف"

الحب والبغض عاطفتان متناقضتان تعدان الأساس في تشكيل المواقف البشرية من القضايا الكبرى في الحياة، فموقف الإنسان من قضايا الإيمان والكفر متوقفة على هاتين العاطفتين، وموقفه من الدفاع عن المبادئ والوطن والعرض متوقفة عليهما وهكذا، قال ابن تيمية: " جنس القوة الشهوية الحب وجنس القوة الغضبية البغض، والغضب والبغض متفقان فى الاشتقاق الأكبر، ولهذا قال النبى أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله فإن هاتين القوتين هما الأصل وقال من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان، فالحب و البغض هما الأصل "[8]

ثم يستأنف الكلام قائلا :"فِعْلُ المأمور به صادر عن القوة الإرادية الحبية الشهوية وترك المنهي عنه صادر عن القوة الكراهية البغضية النفرية والأمر بالمعروف صادر عن المحبة والإرادة والنهي عن المنكر صادر عن البغض والكراهة، وكذلك الترغيب في المعروف والترهيب عن المنكر والحض على هذا والزجر عن هذا ولهذا لا تكف النفوس عن الظلم إلا بالقوة الغضبية الدفعية وبذلك يقوم العدل والقسط في الحكم"[9].

وعليه فإن هذا الموضوع لا يطرح مشكلة عاطفية صرف كما يتوهم نتيجة لثقافة سائدة ، وإنما يطرح الأسس النفسية التي تنبني عليها مواقف

---

[8] ــ ابن تيمية: فتاوى ابن تيمية الجزء الخاص بالتفسير :ج :15

[9] ــ نفسه 435/15

البشرية من القضايا الكبرى في الدين والبناء الحضاري والسلوكي والعقدي.وسنعالج هذا الموضوع من خلال الحديث النبوي الشريف الذي يعد المصدر الثاني للشريعة الإسلامية، وسنحاول حصر المادة الحديثية المتعلقة بهذا الموضوع لأن " الشأن إنما هو في حصر الأدلة الشرعية، فإذا انحصرت انحصرت مدارك العلم الشرعي"[10]، وهذا هو أهم هدف للتفسير الموضوعي والحديث الموضوعي، وإذا تم ذلك أمكن استخلاص النظريات والتصورات الراسخة في موضوع هذه الثنائية الضدية العظيمة في مواقف البشرية كلها.

والحديث المحوري والرئيسي في هذا الموضوع هو: "عن جابر أن رسول الله ﷺ قال إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون، قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال المتكبرون"[11]

دراسة الحديث:

درجة الحديث: قال أبو عيسى وفي الباب عن أبي هريرة وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وروى بعضهم هذا الحديث عن المبارك بن فضالة عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي ﷺ ولم يذكر فيه عن عبد ربه بن سعيد وهذا أصح [12]

---

[10]ـ الشاطبي : الموافقات: 1/ 56ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

[11]ـ سنن الترمذي 4 / 370 وانظر صحيح ابن حبان 368/12 بلفظ مخالف بعض المخالفة التي لاتؤثر في المعنى

[12]ـ سنن الترمذي 4 / 370 وانظر صحيح ابن حبان 368/12

لغة الحديث: قال الترمذي :الثرثار هو الكثير الكلام، والمتشدق الذي يتطاول على الناس في الكلام ويبذو عليهم"[13]، وقال القالي : الثرثارون الذين يكثرون القول ولا يكون إلا قولا باطلا ويقال نهر ثرثار إذا كان ماؤه مصوتا، وكان أبو بكر بن دريد يقول نهر ثرثار إذا كان ماؤه كثير، وثررت الشيء وثرثرته إذا فرقته وبددته، وقال غير يعقوب: المتفيهق الذي يتسع شدقه وفوه بالكلام الباطل، وأصله من الفهق وهو الامتلاء[14]

ومنه ينتج أن: الثرثرة والتشدق والتفيهق صفات سلبية متفاوتة لشيء واحد هو الكلام، وهي تتدرج في السلبية من البسيط إلى الكبير المعقد، فالثرثار من كثر كلامه من حيث هو عادة لا تحمل قصدا شريرا، والمتشدق من كثر كلامه المفتعل الذي يقصد منه التطاول، والمتفيهق من كثر كلامه المفتعل الذي يقصد منه التطاول بالباطل الذي ينم عن التكبر وهو أبشع الصفات الخلقية وأبغضها عند الله، بدليل إخراج الشيطان من الجنة بسببه " قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ؟ استكبرت أم كنت من العالين؟ قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، قال فاخرج منها فإنك رجيم "[15]

والحب : ضد البغض، وهو الود والميل إلى الشيء ماديا كان أو معنويا، سلبيا كان أو إيجابيا، وفي التنزيل :" حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان، أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عزيز حكيم"[16] وفيه أيضا " استحبوا الكفر على الإيمان"[17] فالحب في الآيتين لشيئين متناقضين لأنه نابع من شخصيتين متناقضتين.

---

[13]ـ سنن الترمذي 4 / 370 وانظر صحيح ابن حبان 368/12

[14]ـ أبو علي القالي : الأمالي :2/ 296دار الكتب العلمية بيروت

[15]ـ سورة : ص: 75ـ 77

[16]ـ الحجرات : 7

والحب عند الفلاسفة الميل للأشخاص أو الأشياء العزيزة أو الجذابة أو النافعة[18]،وفي التنزيل : "وتحبون المال حبا جما"، وهو عند علماء النفس عاطفة وهوى، وفي الحديث "لاتؤمنوا حتى يكون هواكم تبعا لما جئت به"[19]، أي يكون حبكم تبعا لما جئت به ...

والبغض: المقت والكره، وهو ضد الحب، والبغضاء شدة الكره، ويطلق في الجانبين السلبي والإيجابي: فيبغض المؤمن الفواحش، ويبغض الكافر والفاسق الفضيلة

والخلق بضمتين : السجية والطبيعة والمروءة والدين[20]

تفسير النص: الحديث" إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، وإن أبغضك إلي وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون، قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال المتكبرون"[21] يعبر عن موقفين للرسول ﷺ من حالين للبشرية؛ فهاهنا قوم يحبهم الرسول وهؤلاء هم المفلحون ، وقوم يبغضهم وهؤلاء هم الخاسرون، وقد ترتب على ذلك حالان، وهما القرب من الرسول ﷺ غدا يوم القيامة، والبعد عنه، وهما حالان متناقضتان أي تقعان موقع التناظر بالنسبة للصفر، وكل ذلك ناجم عن سبب رئيسي هو الأخلاق.

---

[17]ـ التوبة : 23

[18]ـ المعجم الوسيط: باب الحاء: مادة حب

[19]ـ حديث جاء في : جامع العلوم والحكم : وقال حديث حسن صحيح 386/1، وفي فتح الباري، وقال : رجاله ثقات وصححه النووي 289/13 وذكره القرطبي :167/16

[20]ـ لسان العرب : مادة خلق

[21]ـ سنن الترمذي 4 / 370 وانظر صحيح ابن حبان 368/12 بلفظ مخالف بعض المخالفة التي لاتؤثر في المعنى

هذا، ويمكن التعبير عن مفهوم الحديث بواسطة تمثيل بياني، بحيث تكون نقطة الطموح فيه هي الاقتراب من المثل الأعلى حيث يقيم الرسول ﷺ في المقام المحمود، وهو مقام يرى منه المؤمنون المحظوظون الله: "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة"[22] ويقابله بالتناظر السلبي موقع الشيطان في المثل السوء، ويتوسط الخط العمودي نقطة الصفر حيث يستوي الإنسان مع الحيوان، ومنه تبدأ حركة التدرج الإيجابي نحو المثل الأعلى، حيث تقع درجة الرضوان التي تنال بواسطة الخلق الحسن، وبذلك يكون مجلس من نالها قرب الرسول صلى اله عليه وسلم " إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا "

أويتدرج في الاتجاه السلبي ليغوص في أسفل السافلين بواسطة خلق السوء، ومتى بلغ مثل السوء فسيكون حتما أبعد ما يكون عن الرسول ﷺ: "وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارن والمتشدقون والمتفيهقون، قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال المتكبرون"[23]

وهكذا يتبن لنا أن نيل حب الرسول ﷺ والقرب منه مجلسا يوم القيامة يقوم على حسن الخلق وقد جاء في شرح النووي على صحيح مسلم: " قوله ﷺ: إن من خياركم أحاسنكم أخلاقا" فيه الحث على حسن الخلق وبيان فضيلة صاحبه وهو صفة أنبياء الله تعالى وأوليائه، قال الحسن البصري حقيقة حسن الخلق بذل المعروف وكف الأذى وطلاقة الوجه، قال القاضي عياض هو مخالطة الناس بالجميل والبشر"[24] وذكر صاحب فتح الباري في بيان شرح

---

[22]ـ سورة القيامة:23ـ22

[23]ـ سنن الترمذي 4 / 370 وانظر صحيح ابن حبان 368/12 بلفظ مخالف بعض المخالفة التي لاتؤثر في المعنى

[24]ـ شرح النووي على صحيح مسلم: ج 15ـص :78

الحديث "عن أبي هريرة: سئل النبي ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق، وللبزار بسند حسن من حديث أبي هريرة رفعه:إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق"[25] والأحاديث في ذلك كثيرة

وبالمقابل يكون البغض للشقي والبعد عنه ﷺإنما يقوم على قاعدة خلقية، وقد مثل الرسول عليه الصلاة والسلام لها في الجانب السلبي بالثرثرة وختمت بالتفيهق وهو الذي شرحه بالتكبر لأنه غاية في الفساد الخلقي يصل صاحبه درجة الشيطان في السوء.

ومن كل ذلك يتبين لنا دور الخلق الحسن في صناعة البعد الحضاري للبشرية، ولكن من جهة ثانية يتبين لنا أن لعاطفتي الحب والكراهية معناهما العظيم وسلطتهما الكبيرة في بلورة المواقف، فالرسول ﷺ يبين هنا بصورة واضحة من سيكونون أقرب إلى قلبه وإلى مجلسه ومقامه المحمود يوم القيامة، فنعرف أنهم هم الذين يحبهم، وإنما ينالون ذلك بفعل الإيمان وحسن الخلق، ويبين ذلك قوله تعالى" حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان"[26]

بينما يكون المبغضون الذين يعيشون بعيدا عن قلبه ومقامه هم المتكبرون عن الحق، المنساقون للشهوات، ويبين ذلك قوله تعالى" بل جاءهم بالحق و أكثرهم للحق كارهون"[27] وقوله،"زين للناس حب الشهوات"[28]

---

[25]ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري:459/10

[26] سورة : الحجرات: 7

[27] سورة : المؤمنون :7

[28]ـ سورة : آل عمران :24

ويعيننا على فهم ذلك الحديث فهما أعمق حديث آخر يفسر لنا بالأمثلة صلاح الخلق وفساده، فقد ورد في مجمع الزوائد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ "إن أحبكم إلي أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وإن أبغضكم إلي المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الملتمسون للبرآء العيب" (رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه صالح بن بشير المري وهو ضعيف) "[29]

فالعاطفتان المتناقضتان هنا تشكلان في الحقيقة موقفين منسجمين من سلوكين متناقضين، نا تجين عن شخصيتين مختلفتين:

الأولى هي المعبر عنها بقوله ﷺ: " إن أحبكم إلي أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون" ومعنى(الموطؤون أكنافا)ن الكنف في اللغة الساتر والملجأ الذي يحجز العدو عن القوم، وأكنف الشيء صانه وحفظه والكنف كل وعاء لحفظ الشيء، وكنف الراعي والصانع والتاجر مايحفظ فيه متاعه وأسقاطه، والموطأ الميسر والمسهل، يقال رجل موطأ الأكناف دمث كريم مضياف لايتحمل قاصده من زيارته عنتا[30]، فالموطأون أكنافا هم الذين يتمتعون بالخلق الحسن المتمثل في الكرم والإيواء، ويصدق هذا تماما على الأنصار " الذين آووا ونصروا"، إذهم الذين يصدق عليهم بقية النص تماما فهم يألفون ويؤلفون.

والثانية هي المعبر عنها بقوله: " وإن أبغضكم إلي المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الملتمسون للبرآء العيب" فانظر إلى هذا النمط كيف اجتمعت فيه كل خصال السوء التي نهى الله عنها فهم نمامون مغتابون

---

[29]ـ مجمع الزوائد للهيثمي : 21/8

[30]ـ المعجم الوسيط : مادتي : كنف ـ وطأ

يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، وبناء عليه فقد كان موقف الرسول منهم هو بغضهم وكرههم.

كيف يكتسب حسن الخلق؟ :مادام الخلق على هذه الدرجة من الأهمية بحيث عليه يتوقف حب الرسول لعبد وعليه يتوقف الاقتراب من مجالس الانبياء فإن الأمر يقتضي معرفة الطريق الذي يكتسب منه حسن الخلق ليضمن للمرء تلك المكانة الفاضلة، فكيف يكتسب حسن الخلق ؟ أهو فطري أو مكتسب؟ قال صاحب فتح الباري: " وحكى بن بطال تبعا للطبري خلافا هل حسن الخلق غريزة أو مكتسب؟ وتمسك من قال بأنه غريزة بحديث بن مسعود أن الله قسم أخلاقكم كما قسم أرزاقكم الحديث ..... وقال القرطبي في المفهم:الخلق جبلة في نوع الإنسان وهم في ذلك متفاوتون فمن غلب عليه شيء منها إن كان محمودا وإلا فهو مأمور بالمجاهدة فيه حتى يصير محمودا وكذا إن كان ضعيفا فيرتاض صاحبه حتى يقوى،قلت وقد وقع في حديث ..... أحمد والنسائي والبخاري في الأدب المفرد وصححه بن حبان أن النبي ﷺ قال إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة قال يا رسول الله قديما كانا في أو حديثا قال قديما قال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما فترديده السؤال وتقريره عليه يشعر بأن في الخلق ما هو جبلي وما هو مكتسب"[31]

هذا النص يشير إلى فكرة هامة وعملية، وهي أن الخلق وإن كان جبليا فإنه مستويات ثلاث:ا- خلق محمود وهذا ينبغي الحفاظ عليه وأحسب أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بين في أكثر من حديث كيف ينبغي اتباع مسالك الثبات على الخلق الحسن ومنها على الخصوص:" المرء على دين خليله

[31]- ابن حجر العسقلاني : فتح الباري شرح صحيح البخاري: ج :10 ص :459

فلينظر أحدكم من يخالل "[32] على أن من العلماء من يرى أن الخلق المحمود قد لا يقسم باعتبار الظاهرفقط، وإنما باعتبار الباطن أيضا قال الراغب :" التخلق والتشبه بالأفاضل ضربان محمود وهو ما كان على سبيل الارتياض والتدرب على الوجه الذي ينبغي وبالمقدار الذي ينبغي ومذموم وهو ما كان رياء وتصنعا ويتحراه فاعله ليذكر به ويسمى تصنعا وتشيعا ولا ينفك صاحبه من اضطراب يدل على تشيعه"[33]

2ـ خلق مذموم، وهذا الذي يرى القرطبي ضرورة المجاهدة فيه حتى يستقيم ويصير محمودا، ومعنى ذلك أن الخلق يمكن اكتسابه بالتربية والممارسة، وفي الحقيقة إن من شب على شيء يصعب التخلص منه ولكن مع ذلك فإن تجارب الحياة وتاريخ الرجال يبين أن من الرجال ذوي العزائم والإرادلت القوية الذين استطاعوا أن يقاوموا في أنفسهم العادات السيئة ويقضوا عليها، وفي العصر الحديث نلاحظ أن الحيوانات تروض وتربى بحيث تتكون لها عادات وسلوك أقرب إلى السلوك العقلي.

3ـ خلق ضعيف: وهذا في رأي القرطبي يجب أن يرتاضه صاحبه بالرعاية والعناية حتى يقوى.

ونحن نرى أن القرآن كثيرا ما يشير إلى أن العبادات من شأنها تقوية خلق التقوى، مما يبن أن ذلك أمر ممكن، وقد أشرنا إليه في موضع آخر من هذا البحث.

وعلى العموم فإن تحسين الخلق أمر أساسي وأن القيام به ممكن، ويؤيد ذلك ماجاء في فيض القدير إذ قيل : "

---

[32]ـ حديث :المستدرك على الصحيحين :188/4 الحديث رقم :7319

[33]ـ فيض القدير :71/4

أوحى الله تعالى إلى إبراهيم: يا خليلي أي يا صديقي، فيا له من خطاب ما أشرفه، حسِّن خلقك بضم اللام مع سائر الأنام ولو مع الكفار فإنك إن فعلت ذلك تدخل مداخل الأبرار أي الصادقين الأتقياء الذين أحسنوا طاعة مولاهم، تحروا محابه، وتوقوا مكارهه، فإن كلمتي سبقت لمن حسن خلقه أن أظله في عرشي أي في ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظله، وأن أسكنه حظيرة قدسي، أي جنتي، وأصل الحظيرة موضع يحاط عليه لتأوي إليه الإبل والغنم يقيها نحو برد وريح، وأن أدنيه من جواري، بكسر الجيم وضمها والكسر أفصح، أي أقربه مني، يقال جاوره مجاورة وجوارا إذا لاصقه في المسكن، وقد امتثل هذا السيد الجليل أمر ربه فبلغ من حسن الخلق وكمال الدربة ما لم يبلغه أحد سواه، إلا ما كان من ولده رآه، انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطأ العظيم والزيغ الشنيع الذي عصى أمر العقل وانسلخ من قضية التمييز والغباوة التي ليس بعدها شيء كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق وساقه في أشرف مساق مع استعماله الملاطفة والمجاملة والرفق واللين والأدب الجميل وكمال حسن الخلق منتصحا في ذلك بنصيحة ربه مسترشدا بإرشاده"[34]

، وهكذا ينبن لنا أن تحسين الخلق أمر واجب على المجتمعات البشرية إزاء أبمائها، وقد كانت التربية في زمان سابقة للتعليم وكانت هدفا مقصودا، إليه يسعى كل طالب علم ولكن مع استيلاء المادة على المجتمعات نسيت وظيفة التربية والتعليم وجعلتها قاصرة على الجانب المنفعي المادي حتى أوشكت البرامج أن تخلو من التربية الخلقية لتحل محلها التربية التكنولوجية اسما ومعنى،وهو ما لم يكن عليه السلف الصالح عليهم الرضوان، قال العارف ابن عربي : "ينبغي لطالب مقام الخلة أن يحسن خلقه لجميع الخلق مؤمنهم

---

[34]ـ فيض القدير 71/4

وكافرهم طائعهم وعاصيهم وأن يقوم في العالم مقام الحق فيهم فإن المرء على دين خليله من شمول الرحمة وعموم لطائفه من حيث لا يشعرهم أن ذلك لإحسان منه فمن عامل الخلق بهذه الطريقة صحت له الخلة وإذا لم يستطع بالظاهر لعدم الموجود أمدهم بالباطن فيدعو لهم بينه وبين ربه وهكذا حال الخليل فهو رحمة كله الحكيم"[35]

ولاشك أن من ارتقى بأخلاقه ربح القرب من مجالس الأنبياء والصالحين، ونال حب الله ، وذا ما يفهم من ابن عربي قبل : " فمن عامل الخلق بهذه الطريقة صحت له الخلة "

كيف ينال المرء محبة الله ورسوله ومحبة الناس: ليس هناك شك في أن الحديث المحوري لهذا الموضوع يؤدي في النهاية إلى الوقوف على سبب أساسي في حب الرسول ﷺ لقوم معينين وهو حسن الخلق، ولكن هناك حديث آخر يبين سبب حب الله لبعض عباده، وهو بدون شك مكمل للسابق، لأن الحديث يفسر بعضه بعضا، فقد جاء في صحيح البخاري : "حدثني محمد بن عثمان بن كرامة حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان بن بلال حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن عطاء عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته"[36]

---

[35]ـ فيض القدير :71/3

[36]ـ صحيح البخاري: 2384/5 رقم 6137

النص واضح الدلالة في أن نيل محبة الله يتوقف على التقرب إليه والتقرب إليه يتم وفق طريقين أحدهما القيام بما افترضه الله على عبده، والثاني هو القيام بالنوافل، ولكن هناك فرق بين الإثنين فالأول مما يحبه الله،" وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت " والثاني مما يجلب محبة الله لعبده " وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه"

فهناك علاقة واضحة بين طاعة الله وهذه المحبة يقول الطبري :" واعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين في طاعته واجتناب معصيته وإنما أطاعه من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة وعصاه من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة "[37].

وقد يفهم من التقرب إلى الله محبته له، أي أن حب العبد لله عز وجل سابق وإلا كيف يتقرب إليه؟ ولعل العسقلاني في فتح الباري قد تعرض لهذا الموضوع من طرف خفي حين قال :" وقوله أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما معناه أن من استكمل الإيمان علم أن حق الله ورسوله آكد عليه من حق أبيه وأمه وولده والناس لأن الهدى من الضلال والخلاص من النار إنما كان بالله على لسان رسوله ومن علامات محبته نصر دينه بالقول والفعل والذب عن شريعته والتخلق بأخلاقه والله أعلم"[38]

ومن كل ذلك يتبين لنا أن الخلق الحسن والقيام بالفرائض والتقرب بالنوافل هي الأمور الأساسية التي ترفع درجة العبد وتقربه من مقام الأنبياء والرسل يوم القيامة وتحببهم إلى الله ورسوله، فإذا بلغ العبد من الجهد ما يرضي الله أحبه لأنه عندئذ يكون قد استحق المحبة الربانية قال قطب " والصورة التي

---

[37]ـ تاريخ الطبري ج :383/2

[38]ـ فتح الباري لابن حجر العسقلاني : 463/10 شرح الحديث رقم:5694

يرسمها للعصبة المختارة هنا، صورة واضحة السمات قوية الملامح، وضيئة جذابة حبيبة للقلوب:

﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ .

فالحب والرضى المتبادل هو الصلة بينهم وبين ربهم . . الحب . . هذا الروح الساري اللطيف الرفاف المشرق الرائق البشوش . . هو الذي يربط القوم بربهم الودود .

وحب الله لعبد من عبيده ، أمر لا يقدر على إدراك قيمته إلا من يعرف الله – سبحانه – بصفاته كما وصف نفسه ، وإلا من وجد إيقاع هذه الصفات في حسه ونفسه وشعوره وكينونته كلها . . أجل لا يقدر حقيقة هذا العطاء إلا الذي يعرف حقيقة المعطي . . الذي يعرف من هو الله، من هو صانع هذا الكون الهائل، وصانع الإنسان الذي يلخص الكون وهو جرم صغير! من هو في عظمته ، ومن هو في قدرته، ومن هو في تفرده، ومن هو في ملكوته، من هو ومن هذا العبد الذي يتفضل الله عليه منه بالحب، والعبد من صنع يديه – سبحانه – وهو الجليل العظيم، الحي الدائم، الأزلي الأبدي، الأول والآخر والظاهر والباطن.

وحب العبد لربه نعمة لهذا العبد لا يدركها كذلك إلا من ذاقها . . وإذا كان حب الله لعبد من عبيده أمرا هائلا عظيما، وفضلا غامرا جزيلا، فإن إنعام الله على العبد بهدايته لحبه وتعريفه هذا المذاق الجميل الفريد، الذي لا نظير له في مذاقات الحب كلها ولا شبيه، هو إنعام هائل عظيم، وفضل غامر جزيل.

وإذا كان حب الله لعبد من عبيده أمرا فوق التعبير أن يصفه، فإن حب العبد لربه أمر قلما استطاعت العبارة أن تصوره إلا في فلتات قليلة من كلام المحبين، وهذا هو الباب الذي تفوق فيه الواصلون من رجال التصوف

الصادقين – وهم قليل من بين ذلك الحشد الذي يلبس مسوح التصوف ويعرف في سجلهم الطويل – ولا زالت أبيات رابعة العدوية تنقل إلى حسي مذاقها الصادق لهذا الحب الفريد ، وهي تقول:

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

وهذا الحب من الجليل للعبد من العبيد، والحب من العبد للمنعم المتفضل، يشيع في هذا الوجود ويسري في هذا الكون العريض، وينطبع في كل حي وفي كل شيء، فإذا هو جو وظل يغمران هذا الوجود، ويغمران الوجود الإنساني كله ممثلا في ذلك العبد المحب المحبوب . .

والتصور الإسلامي يربط بين المؤمن وربه بهذا الرباط العجيب الحبيب . . وليست مرة واحدة ولا فلتة عابرة . . إنما هو أصل وحقيقة وعنصر في هذا التصور أصيل: ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً﴾ . . ﴿إن ربي رحيم ودود﴾ . . ﴿وهو الغفور الودود﴾ . . ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ . . ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ . . ﴿ قل:إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ . . وغيرها كثير"[39]

حب الرسول: وقد بين مثل ذلك السيوطي في الديباج لكن بالنسبة لحب الرسول ﷺ فقال في شرح الحديث: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين قال الخطابي أراد به حب الاختيار لا حب الطبع لأن حب الإنسان نفسه وأهله طبع ولا سبيل إلى قلبه قال فمعناه لا يصدق في إيمانه حتى يفنى في طاعتي نفسه ويؤثر رضاي على هواه وإن

[39] – في ظلال القرآن

كان فيه هلاكه"[40] قال : " وقال عياض وغيره المحبة ثلاثة أقسام: 1 ـ محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد 2 ـ محبة (طبع) كمحبة الولد 3 ـ ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس، فجمع ﷺ أقسام المحبة في محبته وقال بن بطال معنى الحديث أن من استكمل الإيمان علم أن حقه ﷺ عليه آكد من حق أبيه وابنه والناس أجمعين لأنه ﷺ استنقذنا من النار وهدانا من الضلال"[41]

ولننظر إلى هذا الحديث الذي رواه البخاري في الصحيح كيف يبين ضرورة حب الرسول ﷺ قال :" حدثنا يحيى بن سليمان قال حدثني بن وهب قال أخبرني حيوة قال حدثني أبو عقيل زهرة بن معبد أنه سمع جده عبد الله بن هشام قال ثم كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال النبي ﷺ لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك فقال له عمر فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي فقال النبي ﷺ الآن يا عمر"[42]

وهكذا يتبين لنا أن محبة المؤمن لله ورسوله سابقتان لمحبة الله ورسوله له، فمحبة الإنسان هي التي تجلب محبة الله ورسوله، وذلك بأسباب ثلاثة:

1ـ قيام العبد بما فرضه الله عليه من الفرائض

2ـ التقرب إلى الله بالنوافل

2ـ التخلق بالخلق الحسن

ولكن بعد أن يحب الله عبده يجعل له في قلوب الخلق محبة فيحبه الناس والملائكة، وهكذا يتكون ترابط عظيم بين أنواع من الحب ودرجات فيه، منها

---

[40] ـ الديباج للسيوطي :60/1

[41] ـ الديباج 60/1

[42] ـ صحيح البخاري : 2445/6 ـ حديث رقم :6257

حب الله ورسوله للعباد الصالحين ، ومنها حب الملائكة للناس، ومنها حب الناس لبعضهم في الله، ويهمنا الآن الحب في الله لتعلقه بشبكة العلاقات الاجتماعية لكي ننبه على أهمية الحب ليس في تشكيل المواقف وحسب ولكن بالنسبة لبناء المجتمعات بناء حضاريا، وهو السر الذي يقف وراء حث الرسول ﷺ أمته على نشر المحبة والأخذ بأسبابها، لكن بشرط أن يكون حبا في الله وليس مجرد هوى مطاع لأن ذلك يعد جانبا سلبيا في العاطفة قال القرطبي " وقال عليه السلام إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع أمر العامة وقال ﷺ ثلاث مهلكات وثلاث منجيات فالمهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه والمنجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب وقال أبو الدرداء رضي الله عنه إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله وعلمه فإن كان عمله تبعا لهواه فيومه يوم سوء وإن كان عمله تبعا لعلمه فيومه يوم صالح"[43].

معنى الحب في الله و مراتبه:

قال صاحب فيض القدير" ومعنى الحب في الله والبغض في الله أي لأجله وبسببه لا لغرض آخر كميل أو إحسان"[44]، ومعناه أن الحب بين البشر هنا هو حب قائم على المبادئ والتشاكل في الدين والخلق الحسن.

وهذا واضح ولكن ما مراتب الحب هذه؟ وما علامة كل مرتبة؟ قال ابن عطاء الله "الحب في الله يوجب الحب من الله وهنا مراتب أربع الحب لله والحب في الله والحب بالله والحب من الله، فالحب لله ابتداء والحب من الله

---

[43]ـ القرطبي : الجامع:16/176ـ168

[44]ـ فيض القدير : 1/167

انتهاء والحب في الله وبالله واسطة بينهما، والحب لله أن تؤثره ولا تؤثر عليه سواه والحب في الله أن تحب فيه من ولاه والحب بالله أن تحب العبد ما أحبه(أي ما أحب الله) وما أحبه منقطعا عن نفسه وهواه، والحب من الله أن يأخذك من كل شيء فلا تحب إلا إياه "[45] فدرجات الحب أربعة، ولكن لكل درجة علامة تبينها وتميزها كما أن لكل منها سببا خاصا

علامة الحب تبعا للدرجات: قال ابن عطاء فيما روى المناوي في الفيض: "وعلامة الحب لله دوام ذكره، والحب في الله أن تحب من لم يحسن إليك بدنيا من أهل الطاعات، والحب بالله أن يكون باعث الحظ بنور الله مقهورا، والحب من الله أن يجذبك إليه فيجعل ما سواه عنك مستورا "[46]

فالعلامات أربع هي:

1ـ دوام ذكر الله وتكرار ذكره باللسان والوجدان والأبدان دليل حب المرء لله.

2ـ حب الإنسان لأخيه المؤمن بغير سبب مادي معروف دليل حب في الله.

3ـ الحب بالله، بمعنى أنك تحب عبدا بسبب انقطاعه إلى عبادة الله حبا له.

بـ حب من الله ودليله أن تجد في نفسك حبا لله لايقاوم ولايقارن بحب غيره.

علامات حب الله:

1ـ إصلاح البال من علامات حب الله لعبده : قد يتبادر إلى الذهن أن من علامات حب الله لعبده أن يصب عليه متاع الدنيا صبا، ولكن في الحقيقة ليس ذلك معيارا لأن الدنيا تعطى لأسباب أخر غير ذلك، وإن كان منها حب الله لعبده، فالله قد يمنع عبده المحبوب بعض اللذات حماية له إذ هو أعلم

[45] ـ فيض القدير : 167/1

[46] ـ فيض القدير : 167/1

بطبائع البشر، ويبين ذلك قوله " وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونآى بجانبه وإذا مسه الشر فذوا دعاء عريض"[47] فانظر إلى أثر النعمة على الإنسان تجدها سلبية، مما يبين أن من حرمه الله لايعني أبدا أنه نتيجة البغضاء، بل قد يكون نتيجة المحبة لكي يبقى العبد مرتبطا بالله كما يبين قوله بعد ذلك "وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض"[48]، وعلى هذا فإن متاع الدنيا ليس معيارا للحب أو الكره إنما المعيار هو كما يقول الطبري: " وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاء منها السر ومنها العلانية فأما العلانية فأن يكون حامده وذامه في الحق سواء وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه وبمحبة الناس"[49] فمحبة الناس للعبد بغير سبب مادي معروف دليل حب الله، وظهور الحكمة على لسان العبد دليل صلاح البال وتوفيق الله، وتوفيق الله دليل محبة، لقوله تعالى:" والذين أمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيآتهم وأصلح بالهم "[50] وقوله: " والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم "[51]، فالإرشاد إلى الحق، وإصلاح التفكير والتوجيه، علامة حب الله لعبده، كما أن فقدان النور دليل غضب الله على عبده "ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور"[52] بل إن الله قد لايقلل على عبده في النعم فحسب بل قد يبلوه ليكون دائم التضرع والرجوع إلى الله ، وهو معنى حديث الرسول ﷺ: الذي روي في شعب الإيمان:" عن يحيى بن عبيدالله عن أبيه قال سمعت أبا هريرة

47ـ سورة :

48ـ نفسها :

49ـ الطبري : مرجع سابق

50ـ سورة محمد: 2

51ـ محمد: 4ـ5

52ـ سورة :

يقول قال رسول الله ﷺ إن الله عز وجل إذا أحب عبدا ابتلاه ليسمع صوته"[53] فالابتلاء هنا مهم جدا إنه يعني ربط العبد بربه، فقد يبتلي الله عبدا مؤمنا بحب امرأة ثم لا يجد القدرة ليصل إلى النكاح الحلال فيظل يعاني شاكيا إلى الله ما أصابه وفي ذلك التضرع عبادة وقرب من الله.

2ـ حب الناس علامة حب الله: وإذا تحقق للإنسان حب الله فقد يتحقق له كنتيجة آلية حب الناس ولذلك قال قبل : " الحب في الله يوجب الحب من الله" ويقول الطبري :" فلا تزهد في التحبب فإن النبيين قد سألوا محبتهم وإن الله إذا أحب عبدا حببه وإذا أبغض عبدا بغضه فاعتبر منزلتك ثم الله تعالى بمنزلتك ثم الناس ممن يشرع معك في التابعين ثم سرحه فيمن اجتمع إليه بالمدينة من نفير المسلمين "[54]

وكلام الطبري هذا منشأه الحديث القدسي الذي ورد في صحيح مسلم في باب إذا أحب الله عبدا حببه إلى عباده، قال :" حدثنا زهير بن حرب حدثنا جرير عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال إني أحب فلانا فأحبه قال فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء قال ثم يوضع له القبول في الأرض وإذا أبغض عبدا دعا جبريل فيقول إني أبغض فلانا فأبغضه قال فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلانا فأبغضوه قال فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الأرض"[55]

فهذا الحديث في الواقع مكمل للحديث السابق إذ الأول يبين كيف يحب الله عبدا ويكشف عن التقرب إليه كسبب من الأسباب الأساسية في نيل تلك الدرجة أما هذا الحديث فيبين النتائج المترتبة على ذلك الحب فهو ثمرة

---

[53] ـ شعب الإيمان 145/7 حديث رقم :9788

[54] ـ تاريخ الطبري ج :383/2

[55] ـ صحيح مسلم : ج: 4/ 2030 رقم 2637

الحب، ويا لها من ثمرة أن يصبح الكون كله يحبه، فتحبه الملائكة ويحبه الناس، وقد ترتب على ذلك ثلا ثة أنواع من الحب :

أنواع الحب:

عندما فسر صاحب فتح الباري هذا الحديث بين أن مضمون الحديث يشير إلى أنواع من الحب فقال رحمه الله :"والحب على ثلاثة أقسام إلهي وروحاني وطبيعي وحديث الباب يشتمل على هذه الأقسام الثلاثة فحب الله العبد حب إلهي وحب جبريل والملائكة له حب روحاني وحب العباد له حب طبيعي"[56]

ثم بين المراد بمعنى محبة الله والملائكة والعباد للعبد الصالح قائلا:"والمراد بمحبة الله إرادة الخير للعبد وحصول الثواب له وبمحبة الملائكة استغفارهم له وإرادتهم خير الدارين له وميل قلوبهم إليه لكونه مطيعا لله محبا له ومحبة العباد له اعتقادهم فيه الخير وإرادتهم دفع الشر عنه ما أمكن وقد تطلق محبة الله تعالى للشيء على إرادة إيجاده وعلى إرادة تكميله والمحبة التي في هذا الباب من القبيل الثاني "[57].

أسباب تكون الحب: قال ابن حجر العسقلاني مبينا السبب الرئيسي لتكون كل حب : "قوله إذا أحب الله العبد وقع في بعض الإشارة بيان سبب هذه المحبة والمراد بها، ففي حديث ثوبان إن العبد ليلتمس مرضاة الله تعالى فلا يزال كذلك حتى يقول يا جبريل إن عبدي فلانا يلتمس أن يرضيني ألا وإن رحمتي غلبت ... ويشهد له حديث أبي هريرة الآتي في الرقاق ففيه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه الحديث"[58]، فسبب تكون الحب

---

[56] ــ فتح الباري :463/10

[57] ــ فتح الباري : ج 462/10

[58] ــ نفسه

الرئيسي وهو حب الله لعبه هو إقبال العبد على عبادة الله بجد واجتهاد عن طريق ما افترضه الله عليه وما يتنفل به من قيام وصيام وصدقة ...

فهذا هو الحب الرئيسي الذي يجلب كل حب ولهذا قال ابن حجر بعد ذلك مستأنفا شرح الحديث وتوضيحه بناء على روايات أخر للحديث فبين حجم الفائدة التي ينالها من نال هذا الحب الرباني : " قوله إن الله يحب فلانا فأحبه ... ووقع في حديث ثوبان فيقول جبريل رحمة الله على فلان وتقوله حملة العرش "[59] فالحب الذي ناله العبد بعد ذلك من جبريل والملائكة والناس كله ناجم عن أمر الله بذلك، فهو حب بالتبعية.

البغض هو الوجه المقابل للحب:

لقد قارن صاحب فتح الباري بين رواية البخاري ورواية مسلم ليكشف عن طبيعة الزيادة التي تبين الوجه المقابل للحب وهو البغضاء وبذلك تستكمل الثنائية الضدية التي هي موضوع البحث فيقول :" وقد أخرج مسلم إسنادها ولم يسق اللفظ وزاد مسلم فيه وإذا أبغض عبدا دعا جبريل فساقه على منوال الحب وقال في آخره ثم يوضع له البغضاء في الأرض" وهكذا يتبين لنا من شرح " فتح الباري " أن الحديث في بعض الروايات يحتوي على الثنائية الضدية التي بنيت عليه هذه الدراسة مما يبين أن العاطفتين أساسيتين في معايير البناء الحضاري وكل الأبنية الأخلاقية الفردية والاجتماعية .

ولعل قوله بعد ذلك :" وفي حديث ثوبان ثم الطبراني وإن العبد يعمل بسخط الله فيقول الله يا جبريل إن فلانا يستسخطني فذكر الحديث على منوال الحب أيضا، وفيه: فيقول جبريل سخط الله على فلان وفي آخره مثل

[59] ـ نفسه

ما في الحب حتى يقوله أهل السماوات السبع ثم يهبط إلى الأرض"[60] ما يبين تركيزه على الثنائية والألفاظ التي وردت بها الروايات، وهي ألفاظ مرادفة للبغض.

وقد استأنف تفسيره ليبين معنى أن "يوضع للعبد قبول في الأرض" كنتيجة لحب الله له فقال:" وقوله يوضع له القبول هو من قوله تعالى فتقبلها ربها بقول حسن أي رضيها قال المطرزي القبول مصدر لم أسمع غيره بالفتح وقد جاء مفسرا في فيوضع له المحبة والقبول والرضا بالشيء وميل النفس إليه ...والمراد بالقبول في حديث الباب قبول القلوب له بالمحبة والميل إليه والرضا عنه، ويؤخذ منه أن محبة قلوب الناس علامة محبة الله ويؤيده ما تقدم في الجنائز أنتم شهداء الله في الأرض"

ثم يقف ابن حجر العسقلاني ليتساءل عن سر إضافة الطبراني في حديث ثوبان: " ثم يهبط إلى الأرض ثم قرأ رسول الله ﷺ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا "[61] ومنه يتبين العلاقة الوطيدة بين الحب الرئيسي وهو حب الله لعبده وبقية أنواع الحب بما في ذلك حب أهل الأرض لبعضهم، وقد شاهدنا في الحياة ذلك جليا فوجدنا بعض الناس يحبهم الصالح والطالح، وإن لم يشاكله في أي نوع من المشاكلة ، ويبين ذلك قول الله تعالى " إن الله يدافع عن الذين آمنوا "[62] وقوله :"إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا"[63]، فيدخل في الدفاع عنهم تسخيره الخلق لهم من حيث لايعلمون، وهذا مشاهد في طبائع البشر حيث

---

[60]ـ فتح الباري: 462/10

[61]ـ فتح الباري : ج 462/10

[62]ـ سورة

[63]ـ سورة:

نجد الكافر يقدر في معظم الأحيان المؤمن ويحترمه وإن كان مخالفا له في الفكر والعقيدة.

الحب في الله دليل استكمال الإيمان: هذا الجانب عالجه الحديث الشريف الذي رواه صاحب المستدرك على الصحيحين ونصه :"حدثنا محمد بن صالح بن هانئ وإبراهيم بن عصمة بن إبراهيم قالا حدثنا السري بن خزيمة حدثنا عبد الله بن يزيد المقري حدثنا سعيد بن أبي أيوب عن أبي مرحوم عن سهل بن معاذ وهو بن أنس الجهني عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ثم من أعطى لله ومنع لله وأحب لله وأبغض لله وأنكح لله فقد استكمل الإيمان هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"[64].

هذا الحديث جاء في صيغ مختلفة مما جعل صاحب فتح الباري يعمل على المقارنة بين تلك النصوص ليغوص في المعنى بشكل أعمق فيقول : " قوله والحب في الله والبغض في الله من الإيمان هو لفظ حديث أخرجه أبو داود من حديث أبي أمامة ومن حديث أبي ذر ولفظه أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله ولفظ أبي أمامة من أحب لله وابغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان وللترمذي من حديث معاذ بن أنس نحو حديث أبي إمامة وزاد أحمد فيه ونصح لله وزاد في أخرى ويعمل لسانه في ذكر الله وله عن عمرو بن الجموح بلفظ لا يجد العبد صريح الإيمان حتى يحب لله ويبغض لله، ولفظ البزار ــ رفعه ــ أوثق عرا الإيمان الحب في الله والبغض في الله، ...ثم المصنف آية الإيمان حب الأنصار، واستدل بذلك على أن الإيمان يزيد وينقص لأن الحب والبغض يتفاوتان"[65]

---

[64]ــ المستدرك على الصحيحين :2/ 178 رقم 2694

[65]ــ فتح الباري : 47/1

فانظر إلى هذه الصيغ المختلفة كيف تتكامل لتعبر عن قضية واحدة بألفاظ مختلفة هي على التوالي :

1ـ أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله:

2ـ من أحب لله وابغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان

3ـ لا يجد العبد صريح الإيمان حتى يحب لله ويبغض لله

4ـ أوثق عرا الإيمان الحب في الله والبغض في الله

5ـ آية الإيمان حب الأنصار

هذه الصيغ الخمسة تشترك في علاقة الحب في الله أو لله بالإيمان، ومعناه أن الموضوع قد تكرر على لسان الرسول ﷺ كثيرا في مواقف تربوية مختلفة مما يلفت الانتباه إلى أهمية الموضوع، وقد بين جانبا من ذلك صاحب فيض القدير بقوله" أحب الأعمال وفي رواية أفضل الأعمال وفي أخرى أفضل الإيمان ولا تعارض لأن الحب من متعلقات القلب فناسب الإيمان وهو عمل قلبي "[66] ويؤكد ذلك الترابط بين مجالات الحب الحديث التالي الذي روي في صحيح البخاري " حدثنا محمد بن عبد الله بن حوشب الطائفي حدثنا عبد الوهاب حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار"[67] فالحديث يجمع بين طرفي الثنائية الضدية فيجعل حب الله ورسوله والحب في الله طرفا، ويجعل كره الكفر والنار في طرف

ويدفعنا ذلك إلى التساؤل:

---

[66] ـ فيض القدير 167/1

[67] صحيح البخاري 2546/6 حديث رقم : 542

وكيف يستكمل الإيمان بذلك؟أو كيف يكون الحب دليلا على الإيمان؟ سبقت الإشارة إلى أن الحب قد يكون في الله وقد يكون لله، وهذه الأحاديث تبين أن الأعمال بصفة عامة إذا كانت لله فهي مما يعبر عن كمال الإيمان، وهذا قد يكون واضحا لكن كيف يكون الحب بين البشر لله؟

كتب ابن تيمية قائلا: " من أعطى لله ومنع لله فقد إستكمل الإيمان فالحب و البغض هما الأصل والعطاء عن الحب وهو السخاء والمنع عن البغض وهو الشحاحة فأما الغضب فقد يقال هو خصوص فى البغض وهو الشدة التى تقوم فى النفس التى يقترن بها غليان دم القلب لطلب الانتقام وهذا هو الغضب الخاص، ولهذا تعدل طائفة من المتكلمين عن مقابلة الشهوة بالغضب إلى مقابلتها بالنفرة ومن قابل الشهوة بالغضب فيجب أن لا يريد الغضب الخاص فإن نسبة هذا إلى النفرة نسبة الطمع إلى الشهوة فأما الغضب العام فهو القوة الدافعة البغضية المقابلة للقوة الجاذبة الحبية"[68]

وجاء في فتح الباري ما يبين بعض ذلك الوجه المقابل :" قوله باب الحب في الله ذكر فيه حديث أنس لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله الحديث ... ولفظه الحب في الله والبغض في الله من الإيمان وان له طرقا أخرى"[69]

وقال صاحب فيض القدير:" وإنما كان أحب الأعمال إلى الله لدلالته على كمال إيمان فاعله ففي خبر أبي داود عن أبي أمامة مرفوعا من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان فدل على أن من لم يحب لله ويبغض لله لم يستكمل الإيمان "[70]

---

[68] ــ فتاوى ابن تيمية قسم التفسير :435/15

[69] ــ فتح الباري :463/10

[70] ــ فيض القدير: 167/1

وهكذا تتبين لنا العلاقة واضحة بين الحب في الله واستكمال الإيمان بل والشعور بحلاوة الإيمان، والسبب في هذه العلاقة يكمن في إخلاص العبد أعماله تلك لله، فمتى أحب عبدا من عباد الله وتفاني من أجله طاعة لله فقد كان ذلك من علامات حبه في الله، لأنه يفعل ما يفعل وهو لايرجو من غير الله جزاء ولاشكورا، إنه الإخلاص الخالص الذي لايشوبه شيء من حطام الدنيا.

دور الحب في التجاور وتعزيز شبكة العلاقات الاجتماعية:

هناك مسألة غاية في الدقة هي تجاور الناس في الدنيا والآخرة ، فقد وردت أحاديث شريفة تبين أسرار ذلك التجاور والتساكن، ففي حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: " الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف"[71] دليل على أن الحب الذي ينشأ بين الخلق لايرجع إلى التلقائية والعفوية وإنما يرجع إلى أسرار نفسية وروحية بالدرجة الأولى، فأرواح البشر مجندة للقيام بالعمل وفق ما تجندت به من خير أو شر، ومن ثم فهي تتشاكل فيما بينها بحسب ما جندت به وله، وعليه فلا مناص من أن تتآلف وتتحاب وفق ذلك وأن تتناكر وتتباغض وفق ذلك، وتصبح الأسباب المادية عارضة جدا.

وهذا ما يترجم تساكن المهاجرين والأنصار في المدينة ويجسد سبب التآخي الذي ظل مضرب المثل لكل عاقل واع بأسباب الحياة الطيبة، فقد جاء في " صحيح البخاري باب حب الأنصار من الإيمان:"حدثنا حجاج بن منهال حدثنا شعبة قال أخبرني عدي بن ثابت قال سمعت البراء رضي الله

[71]ـ صحيح مسلم، الحديث رقم 2638

عنه قال سمعت النبي ﷺ أو قال قال النبي ﷺ : الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله"[72]

وانظر بعد ذلك إلى إعلان الرسول ﷺ حبه للأنصار بصورة ملفتة للانتباه جاء في البخاري" حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن كثير حدثنا بهز بن أسد حدثنا شعبة قال أخبرني هشام بن زيد قال سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺومعها صبي لها فكلمها رسول الله ﷺ فقال والذي نفسي بيده إنكم أحب الناس إلي مرتين"[73]

ومثلما أعلن حب الأنصار أعلن حب الحسن وأرشد إليه : " حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي أخبرنا يحيى بن آدم حدثنا ورقاء بن عمر عن عبيد الله بن أبي يزيد عن نافع بن جبير عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنت مع رسول الله ﷺ في سوق من أسواق المدينة فانصرف فانصرفت فقال أين لكع ثلاثا ادع الحسن بن علي فقام الحسن بن علي يمشي وفي عنقه السخاب فقال النبي ﷺ بيده هكذا فقال الحسن بيده هكذا فالتزمه فقال اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه وقال أبو هريرة فما كان أحد أحب إلي من الحسن بن علي بعدما قال رسول الله ﷺ ما قال"[74]

ويدل على ذلك أيضا حديث الرسول ﷺ الذي يجسد الفكرة في الواقع الدنيوي والأخروي ، فقد جاء أعرابي فيما روى أنس إلى رسول الله ﷺ وسأله :" متى الساعة قال قال رسول الله ﷺ وما أعددت لها قال حب الله ورسوله قال أنت مع من أحببت"[75] قال أنس معلقا على هذا الحديث :"

---

[72]ـ نفسه:3/1379 حديث رقم : 3

[73]ـ نفسه حديث رقم :3575

[74]ـ نفسه 5/2207ـ حديث رقم :5545

[75]ـ صحيح مسلم: بباب إذا أحب الله عبدا حببه إلى عباده حديث رقم 2639

فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم"

فانظر إلى هذا الحديث كيف يبين أن التجاور يوم القيامة يتوقف على الحب، وليس ذلك من باب الهوى وإنما من باب التربية على ما يحقق المواقف الإيجابية والمواقف الشريفة، فالذي أحب الله حقا عبده حق العبادة، والذي أحب الرسول ﷺ اتبعه والتزم بما جاء به، والذي أحب أبا بكر وعمر أعجب بسلوكهما وخدمتهما للشريعة الإسلامية، ومن ثم جاء الأمل في مساكنتهم ومجاورتهم، ومن هنا يفهم معنى الحديث " قيل للنبي ﷺ الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال المرء مع من أحب"[76].

ويتعمق الحديث في المجاورة ليبين أن القاعدة هي هي في الدنيا والآخرة لا تتغير ولا تتبدل ففي صحيح البخاري باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه نجد الحديث:" حدثنا حجاج حدثنا همام حدثنا قتادة عن أنس عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه قالت عائشة أو بعض أزواجه إنا لنكره الموت قال ليس ذاك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه "[77]

وانظر بعد كل ذلك إلى هذا الحديث النبوي الشريف الذي يرسم صورة رائعة لمعاني الحب في الله، تعمق دلالته وأهميته في تكوين المجتمع النموذجي فعلا، النموذج المثالي للمحبة في الله، ففي سنن أبي داود نقرأ :"

---

[76]ـ صحيح البخاري :5/2283 حديث :5818

[77]ـ نفسه :5/2386 حديث رقم 6

حدثنا زهير بن حرب وعثمان بن أبي شيبة قالا ثنا جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير أن عمر بن الخطاب قال قال النبي ﷺ إن من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم قال هم قوم تحابوا بروح الله بينهم على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم على نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس وقرأ هذه الآية ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون"[78]

ولكن في هذا الحيث عبارة تتطلب شرحا معمقا لأنها تكتسب قوة كبرى في فهم الحديث ومن ثم فهم القضية التي هي موضع البحث هي عبارة : " قوم تحابوا بروح الله بينهم" فما معنى ذلك؟ في كتاب عون المعبود يفسرها بقوله: " قال الخطابي فسروه القرآن وعلى هذا يتأول قوله عزوجل وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا سماه روحا والله أعلم لأن القلوب تحيى به كما يكون حياة النفوس والأبدان بالأرواح"[79]

فالروح هنا هي القرآن وقد نعممها فنقول هي الوحي، ومعناه أن علاقة الحب هنا تكونت في ظل الوحي ومدارسته والتعامل معه، ذلك ما يفهم من قوله في الكلام السابق"سماه روح الله لأن القلوب تحيا به"، وذلك يؤكده تاريخ جيل الرضوان إذ كانوا يتحابون في الله لدرجة تذهل معها العقول، لأن الوحي كان معاشهم ممسين ومصبحين.

---

[78]ـ سنن أبي داود :ج 288/3 رقم 3527

[79]ـ عون المعبود : 322/9

والحديث جاء برواية ثانية في مسند أحمد قال : "إن رسول الله ﷺ لما قضى صلاته أقبل إلى الناس بوجهه فقال يا أيها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا أن لله عز وجل عباد ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله فجاء رجل من الأعراب من قاصية الناس وألوى بيده إلى نبي الله ﷺ فقال يا نبي الله ناس من الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله، أنعتهم لنا، يعني صفهم، وجه رسول الله ﷺ لسؤال الأعرابي، فقال رسول الله ﷺ: هم ناس من أفناء الناس ونوازع القبائل لم تصل بينهم أرحام متقاربة، تحابوا في الله وتصافوا، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها فيجعل وجوههم نورا وثيابهم نورا يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون"[80]، فهم في هذا الحديث أصفياء، وهم أولياء الله، ومن الطبيعي أنهم لا يكونون كذلك إلا بعكوفهم على الوحي يتدارسونه فيما بينهم.

دعوة الرسول أمته إلى أسباب تبادل الحب:

حينما يجعل الإمام مسلم عنوان الباب :" 22 باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب لحصولها" فإنه في الحقيقة يكشف عن مسألة غاية في الأهمية لتشابك أربع مسائل فيها هي: دخول الجنة، وكمال الإيمان، والحب، وإفشاء السلام، وهي الأمور التي تتحدد العلاقة بينها من خلال حديث صحيح ساقه مسلم في هذا السياق هو : " حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو معاوية ووكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: لا تدخلون

[80] ـ مسند أحمد :343/5

الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم"[81]، إذا كانت العلاقة بين الإيمان والجنة واضحة، فما العلاقة بين الإيمان الكامل والحب؟ وما العلاقة بين الحب وإفشاء السلام؟وما الهدف الحضاري الذي يقصده الرسول ﷺ بالدعوة لهذا الخلق؟ أسئلة هامة ينبغي الإجابة عنها كي نصل إلى النتيجة العملية لفعالية الحب في البناء الحضاري.

عرض لمعنى الحديث النووي بقوله :" وأما معنى الحديث فقوله ﷺ ولا تؤمنوا حتى تحابوا معناه لا يكمل إيمانكم ولا يصلح حالكم فى الإيمان إلا بالتحاب، وأما قوله ﷺ لاتدخلون الجنة حتى تؤمنوا فهو على ظاهره وإطلاقه فلا يدخل الجنة إلا من مات مؤمنا وإن لم يكن كامل الإيمان فهذا هو الظاهر من الحديث وقال الشيخ أبو عمرو رحمه الله معنى الحديث لا يكمل إيمانكم الا بالتحاب ولا تدخلون الجنة ثم دخول أهلها إذا لم تكونوا كذلك وهذا الذى قاله محتمل والله أعلم "[82]

في تفسير هؤلاء العلماء للحديث إشارات غاية في الأهمية:

أولها: لايدخل الجنة إلا من كان مؤمنا، كامل الإيمان

ثانيها: لايكمل إيمانكم إلا بالتحابب فيما بينكم، يبدو أن دور الحب هنا خطير جدا في تحديد سلوك الناس إزاء بعضهم فهم يحب بعضهم يفعلون فقط ما يتناسب مع الإيمان وهو التقوى المعبر عن خوف الله، وعليه فقد ينجم عن ذلك الفهم النقطة الموالية التي استنتجناها من تفسير النووي للحديث

ثالثها : لايصلح حالكم إلا بالتحابب، التحابب بين الشعوب، والتحابب بين العشائر والتحابب بين أفراد الوطن الواحد والتحابب بين أبناء المذاهب

---

[81]ـ صحيح مسلم ـ 74/1

[82]ـ شرح النووي على صحيح مسلم :36/2

المختلفة، والتحابب بين أفراد الأسرة، كل ذلك هو سبب صلاح الحال، وكيف يصلح حال أمة أو عشيرة أو شعب، أو أسرة إذا كان بعضهم يكره بعض ويبغضه ما دامت البغضاء لاتؤدي إلا إلى التقاتل والتدابر والتمزق والتفاتن، ولنا في تاريخنا القديم والحديث خير مثال، وفي تاريخ البشرية ما يغني عن التمثيل

رابعها: لايتحقق التحابب إلا بأسبابه ومنها إفشاء السلام،لأن إفشاء السلام، يزيل ما علق بالنفوس من ضغائن لا تخلوا الحياة بطبيعتها منها لتنازع الخلق على الملكية بحكم الأنانية وحب البقاء وهي أمور غريزية، فالنزاع بين الناس مسألة طبيعية ولكن يمكن التخفيف من حدتها بإفشاء خلق السلام الذي هو بمثابة بلسم للجرح، إنه علاج للجروح النفسية الناجمة عن الصراع الاجتماعي حول الحاجات.

إن العلاقة بين هذه العناصر علاقة ترابط كترابط العلة بالمعلول، فالإيمان شرط في الجنة، وكماله موقوف على التحابب، ثم إن أحوال البشرية لاتصلح إلا بانتشار خلق المحبة بين أفراد المجتمع، وانتشار المحبة مرهونة بأسبابها ومنها إفشاء السلام.

نعم إن ما قاله هؤلاء العلماء في تفسير الحديث مهم ولكن هناك أمر أهم وهو أن قول الرسول ﷺ " أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم"[83]، له دلالتان كبيرتان جدا:

الأولى أن في ذلك دليل على أهمية الحب في صناعة الحضارة

والثانية أن إفشاء السلام أداة مهمة في نشر المحبة بين الناس، ويؤكد ذلك رواية أخرى للحديث جاءت في المستدرك على الصحيحين قال : "حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب أنبأ محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أنبأ بن وهب

---

[83] - مسلم ـ 74/1

أخبرني حيوة عن بن الهاد أن الوليد بن أبي هشام حدثه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لن تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أدلكم على ما تحابوا عليه قالوا بلى يا رسول الله قال افشوا السلام بينكم تحابوا والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تراحموا قالوا يا رسول الله كلنا رحيم قال إنه ليس برحمة أحدكم ولكن رحمة العامة رحمة العامة هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"[84].

انظر إلى هذا الحديث كيف يؤكد دور السلام في تحقيق البعد الحضاري للحب الاجتماعي، الحب القائم على المواصفات الخالية من الأنانية وحب الذات، الحب الذي يؤدي إلى الرحمة الاجتماعية الشاملة " إنه ليس برحمة أحدكم ولكن رحمة العامة رحمة العامة" هذا الحب هوالذي يصفه حديث آخر ورد في الصحيحين "عن أنس عن النبي ﷺ قال ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار، وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق في المساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه"[85]، ففي الحديث الأول نقرأ العبارة " وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله" وفي الثاني نجد العبارة "ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه" وكلاهما يفسر القضية نفسها،أي الحب في الله بعيدا عن المصالح

---

[84]ـ المستدرك على الصحيحين : 185/4 حديث رقم : 7310

[85]ـ حاشية ابن القيم : ج 14 /21

الذاتية أو الشهوات البهيمية العابرة، ولكن هل هناك أدوات وأسباب أخرى تحقق المحبة غير إفشاء السلام ؟

في الواقع هناك أدوات غير ذلك منها: الهدايا فقد جاء في مجمع الزوائد بباب الهدية "عن أنس قال كان المسلمون يتهادون على عهد رسول الله ﷺ صلة بينهم فقال رسول الله ﷺ لو قد أسلم الناس لتهادوا فاقة رواه الطبراني في الصغير وقال في الكبير كان النبي ﷺ يأمر بالهدية صلة بين الناس ...وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ يا معشر الأنصار تهادوا فان الهدية تحل السخيمة وتورث المودة فوالله لو أهدى إلى كراع لقبلت ولو دعيت إلى ذراع لأجبت رواه الطبراني في الأوسط والبزار بنحوه وفيه عائذ بن شريح وهو ضعيف وعن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ تهادوا تحابوا وهاجروا تورثوا أولادكم مجدا وأقيلوا الكرام عثراتهم ... وعنها قالت قال رسول الله ﷺ يا نساء المؤمنين تهادوا ولو بفرسن شاة فإنه يثبت المودة ويذهب الضغائن رواه الطبراني في الأوسط ...وعن عائشة أن النبي ﷺ قال تهادوا تزدادوا حبا رواه الطبراني في الأوسط "[86] هذا النص من مجمع الزوائد غني جدا بالأفكار التي نحن بصدد عرضها، ومن الطبيعي ألا تفهم حق الفهم حتى نجعلها في سلسلة متوالية مرتبة وفق الهدف كما يلي :

1ـ لو قد أسلم الناس لتهادوا فاقة

2ـ كان المسلمون يتهادون على عهد رسول الله ﷺ صلة بينهم

3ـ كان النبي ﷺ يأمر بالهدية صلة بين الناس .

4ـ قال رسول الله ﷺ يا معشر الأنصار تهادوا فان الهدية تحل السخيمة وتورث المودة

5ـ قال رسول الله ﷺ تهادوا تحابوا

[86]ـ مجمع الزوائد :146/4

6ـ قال رسول الله ﷺ يا نساء المؤمنين تهادوا ولو بفرسن شاة فإنه يثبت المودة ويذهب الضغائن

7ـ وعن عائشة أن النبي ﷺ قال تهادوا تزدادوا حبا رواه الطبراني في الأوسط

8ـ وجاء في مجمع الزوائد أن "بنت وداع الخزاعية قالت سمعت النبي ﷺ يقول تهادوا فان الهدية تضعّف الحب وتذهب بغوائل الصدر رواه الطبراني في الكبير "[87]

باستثناء الحديث الأول فإن كل هذه الأحاديث السبعة تعالج مسألة و احدة هي دور الهدية في تنمية علاقات المحبة بين الناس، فالهدية تقوي الصلة بين الناس، وتحل السخيمة وتورث المودة وتنمي المحبة، وتذهب الضغائن وغوائل الصدر، فهي إذن علاج قوي لعناصر التفرقة الاجتماعية من ضغائن وأحقاد وهي مجلبة لأسباب التواصل الاجتماعي والأخلاقي والحضاري.

والحديث الأول يتناول شيئا مهما بهذا الصدد وهو أن الإسلام الحق يهيئ النفس للهدية ويدفعها إليه دفعا حتى لو كانت على الفاقة والفقر، وذلك يدل على أنها نابعة من القلب "لو قد أسلم الناس لتهادوا فاقة"، ومن جهة أخرى يدل على دور الإسلام في تنمية الروابط الاجتماعية التي أساسها الحب.

نتائج الحب في الله على المستوى الأخروي:

ذكر ابن القيم في الحاشية : " وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون لجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي، وفي الترمذي عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله ﷺ يقول قال الله تعالى المتحابون في جلالي لهم منابر من

[87] ـ نفسه :147/4

نور يغبطهم النبيون والشهداء"، قال وفي الباب عن أبي الدرداء وأبي مسعود وعبادة بن الصامت وأبي هريرة وأبي مالك الأشعري وهذا حديث حسن صحيح"[88]

ها هنا حديثان إذن يبينان نتائج الحب في الله على المستوى الأخروي، أما أحدهما فيبين مكانة أصحابه عند الله تعالى يوم الحشر، وأما الثاني فيبين مكانتهم في الجنة إذ يتميزون بمنابر من نور، ولاشك أن نيل ذلك لم يكن إلا لأثر ذلك الحب في الحياة الدنيا من حيث الاستقامة والصلاح، إذ بفضل تلك الزمرة المتحابة في الله انتصر الحق يوم كان البغض للرسول ﷺ ومن آمن معه يملأ مكة وما يحيط بها مما اضطر المؤمنون إلى الهجرة حيث الحب، قال تعالى :﴿ والذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون حاجة في صدورهم مما أوتوا﴾ [89]، فها هو الحب في الله يتحول إلى طاقة اجتماعية قوية كانت هي التي ساعدت المجتمع الإسلامي الناشئ على أن يتكافل تكافلا لم يعرف له التاريخ مثيلا. قال قطب رحمه الله:"لم يعرف تاريخ البشرية كله حادثا تاريخيا جماعيا كحادث استقبال النصار للمهاجرين بهذا الحب الكريم وبهذا الإيواء واحتمال الأعباء حتى ليروى أنه لمينزل مهاجر في دار أنصاري إلا بقرعة لأن عدد الراغبين في الإيواء المتزاحمين عليه أكثر من عدد المهاجرين"[90]

نموذج لتغير موقعي الثنائية الضدية في القلب: عندما يتم اقتناع الشخص بأمر يتم تبعا له في الغالب تغير في الموقف منه، ولكن في الحقيقة إن ما

---

[88] ــ حاشية ابن القيم : ج 14 /21

[89] سورة الحشر : 9

[90] ــ في ظلال القرآن :3526

يحدث إنما هو تغير في هاتين العاطفتين فهما اللتان تتحكمان في المواقف الصادقة كلها، وانظر إلى هذا الحديث الذي رواه البخاري بخصوص ما طرأ على ثمامة من تغير في موقعي العاطفتين فصار ماكان محبوبا مبغوضا وماكن مبغوضا صار محبوبا: روى البخاري قال: " حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث قال حدثني سعيد بن أبي سعيد أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال بعث النبي ﷺ خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه النبي ﷺ فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندي خير يا محمد إن تقتلني تقتل ذا دم وإن تنعم تنعم على شاكر وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت فترك حتى كان الغد ثم قال له ما عندك يا ثمامة؟ قال ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكر، فتركه حتى كان بعد الغد فقال ما عندك يا ثمامة؟ فقال عندي ما قلت لك، فقال أطلقوا ثمامة، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الدين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل صبوت قال لا ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ"[91]

لقد حدث في شخصية الرجل انقلاب شامل، التغير حدث في المواقف من : الوحدانية، والرسول، والدين، والبلد، ذلك ماتحدده العبارات التالية:

[91] ــ صحيح البخاري 1589/4 الحديث رقم: 4114

1ــ دخل المسجد فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله

2ــ يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي

3ــ والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الدين إلي

4ــ والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي.

الآن وقد تبينت لنا كثير من جوانب الحب وآثاره والأسباب المؤدية إليه بقي أن نعرف ما هي أحب الأعمال إلى الله كي نعملها فنتقرب بها إلى الله ليحبنا فننال تلك الدرجة التي نالها المتحابون في الله .

أحب الأعمال إلى الله:

حاء في صحيح البخاري أن أحب الأعمال إلى الله ثلاثة ولكن راوي الحديث قال لو استزدت رسول الله ﷺ لزاد بيانا لأعمال أخرى هي مما يحبه الله، وهذا يبين أنها كثيرة ونص الحديث هو: " حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة قال الوليد بن عيزار أخبرني قال سمعت أبا عمرو الشيباني يقول أخبرنا صاحب هذه الدار وأومأ بيده إلى دار عبد الله قال سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله قال الصلاة على وقتها قال ثم أي قال ثم بر الوالدين قال ثم أي قال الجهاد في سبيل الله قال حدثني بهن ولو استزدته لزادني"[92] فالحديث يحدد ترتيبا للأعمال التي يحبها الله، ولكن عبارة: " ولو استزدته لزادني" تبين أن هذه الأعمال المحبوبة عند الله كثيرة تشمل بدون شك مبدأ الطاعة الذي يعني الامتثال لأوامر الله، ونعني التقوى، ولكن هذه الأعمال يفضل لها الدوام وإن قلت لأن العبرة بالصلة الدائمة بالله، لذلك جاء في صحيح البخاري : " عن

[92]ــ صحيح البخاري : 2227/5ــ حديث رقم :5625

عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يحتجر حصيرا بالليل فيصلي ويبسطه بالنهار فيجلس عليه فجعل الناس يثوبون إلى النبي ﷺ فيصلون بصلاته حتى كثروا فأقبل فقال يا أيها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل"[93] فهذه العبارة" أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل" تبين أن الأعمال المحبوبة عند الله مفتوحة ، هي كل مايرضيه ، ولكن بشرط واحد هو الديمومة،أي هي تلك التي تتصف بالديمومة، واتصافها بالديمومة يعني في الحقيقة أمرا مهما جدا، إنه يعني ارتباط شعور الإنسان وفكره بالله، وفي الحقيقة حينما نتأمل ذلك نجده أمرا أساسيا في العقيدة الإسلامية، إذ هي تربط دائما التقوى بالعبادات، فإذا كانت التقوى هي التي توجه الإنسان إلى العمل الصالح و الحرص على تحقيق الخير فإن العبادات الصادقة هي التي تنمي تلك التقوى في القلوب لذلك يقول الله تعالى بخصوص العبادات : "يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون"[94] قال قطب : "إن النداء إلى الناس كلهم لعبادة ربهم الذي خلقهم والذين من قبله...وللعبادة هدف لعلهم ينتهون إليه ويحققوه "لعلكم تتقون" لعلكم تصيرون إلى تلك الصورة المختارة من صور البشرية صورة العابدين لله المتقين، الذين أدوا حق الربوبية الخالقة فعبدوا الخالق وحده"[95]، ويبين ذلك قول الله تعالى في الصيام :" ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون"[96] فالصوم هنا أداة من أدوات تحقيق التقوى وطريق موصل

---

[93]ـ نفسه 2201/5ـ حديث رقم :5523

[94]ـ سورة البقرة :21

[95]ـ في ظلال القرآن: 47/1

[96]ـ البقرة :183

إليها ومن ثم يجعلها السياق أمام العيون هدفا وضيئا يتجهون إليه عن طريق الصيام[97]

خلاصة البحث: يمكن بعد هذه الجولة السريعة أن نصل إلى أن الحب والبغض عاطفتان أساسيتان في تحديد المواقف، إذ أن مواقف الناس من بعضهم ومن المبادئ والكون كله تتكيف وفق هاتين العاطفتين، يحب الشخص ربه ورسوله فيتفانى من أجل الدفاع عن شريعة الله ويستميت من أجل إقامة دينه، ويحب الكافر الباطل فيستميت من أجله، وعلى العكس من ذلك يبغض الناس الشيطان والكفر فيدفعانه بكل ما أوتوا من قوة ويبغض بعضهم الحق فيستميت رغبة في طمس معالمه، ولهذا كان حب الله ورسوله أساسيا في الدين وبغض الكفر والشيطان أساسيا في الاستقامة، وهذا سر دعاء الرسول ﷺ: :اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه" وسر قوله تعال " حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان" فتحبيب الإيمان مدعاة لمواقف الخير، ويقابله تكريه الكفر وما يستتبعه من مواقف الشر.

---

[97] ـ في ظلال القرآن 168/1

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

2ـ ابن أبي شيبة : مصنف ابن ابي شيبة مكتبة الرشد ـ الرياض ـ 1409ـ ط 1 /كمال يوسف الحوت

3ـ ابن حبان: صحيح ابن حبان ـ مؤسسة الرسالة بيروت 1993 ط 2 تحقيق شعيب الأرنؤوط

1ـ ابن كثير إسماعيل: الكامل في التاريخ : دار صادر بيروت

4ـ ابن ماجة : شرح سنن ابن ماجة: دار الفكر ـ بيروت ـ محمد فؤاد عبد الباقي

5ـ ابن حجر العسقلاني : فتح الباري: دار المعرفة ـ بيروت سنة 1379هـ ـ ت: محمدفؤاد عبد الباقي +محب الين الخطيب

3ـ ابن حنبل أحمد: المسند: دار صادر بيروت + مكتبة قرطبة ـ مصر

6ـ أبو داود : سنن أبي داود ـ دار الفكر ـ بيروت ـ محمد محي الدين عبد الحميد

49ـ البخاري : صحيح البخاري ـ دار ابن كثير اليمامة بيروت 1407ـ1987/ط 3ـ تحقيق مصطفى ديب البغا

8ـ الترمذي: سنن الترمذي (الجامع الصحيح) : إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ت: أحمد محمد شاكر وآخرين

ـ الشاطبي إبراهيم بن موسى الغرناطي : الموافقات : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع تعليق محمد الخضر حسين التونسي

عبد الرحمن السيوطي : الديباج: دار ابن عفان 1416 هـ 1996 ت: أبو إسحاق الحويني الأثري

عبد الرؤوف المناوي : فيض القدير شرح الجامع الصغير : المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر 1356 ط1

علي بن أبي بكر الهيثمي : مجمع الزوائد ـ دار الريان للتراث ـ دار الكتاب العربي ت القاهرة بيروت 1407

56ـ مالك بن أنس : الموطأ ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ1392 مصر محمد فؤاد عبد الباقي

57 ـ مسلم : صحيح مسلم ـ دار إحياء التراث العربي بيروت أ تحقيق

58ـ النووي : شرح النووي على صحيح مسلم ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ1392 ـ ط 2

59ـ النيسابوري : المستدرك على الصحيحين: دار الكتب العلمية ـ بيروت 1990 ط 1مصطفى عبد القادر عطا.